المواطنة في المنظومة التعليمية بما هي انتماء وولاء

محمد احساين

في سياق المداخلة

بادر المغرب إلى بسط سيادته على معبر الكركرات لإنهاء مناوشات خصوم وحدتنا الترابية على المعبر الحدودي لإنهاء مناوشات خصوم وحدتنا الترابية وتأمين الحركة التجارية والسياحية بين المغرب ودول الجنوب، فراينا مواقف وعايشنا مظاهر التأييد والارتياح من قبل الشعب المغربي بكل هيئاته ومؤسساته... وكلها تصب في حقيبة صيانة الوطن ورفعته وحمايته وسلامته خاصة وأننا نواجه اليوم آثار وسائل التواصل الاجتماعي وتقنية المعلومات، الهادفة إلى تطويع عقول أجيالنا وتوجيه أفكارهم، نتيجة الثورات الصناعية والعلمية، والتغيرات السريعة المتلاحقة، والثورة المعرفية التي تجتاح العالم..تجعل قضية الانتماء إلى الوطن في أمتنا تمر بأزمة خطيرة معقدة، من مظاهرها ضَعف الانتماء والولاء لدى الأجيال الجديدة، وما لها من آثار مباشرة على الوحدة الوطنية والمنظومة الاجتماعية، والأمن القومي، مما يدعو إلى التوقف عندها، والتوجس منها، من أجل الإسهام في مسؤولية تحصين أجيالنا المقبلة، وتنمية مداركهم، وتوجيه عقولهم نحو الولاء للوطن، والاعتزاز بالانتماء له، من أجل الحفاظ على الهوية الخاصة للمجتمع في ظل ما يتهدده من أخطار العولمة، ومؤسساتها بالتركيز على أهمية المواطنة في علاقتها بالهوية الدينية والثقافية للوطن والمواطن، وما يستلزم من انتماء وولاء.

فالملاحظ أن هناك خلط كبير بين كل مشتقات فعل " وطن " في مفاهيمها وأبعادها الفلسفية والتشريعية والتربوية... عند كثير من الأفراد والمجتمعات، خلط بين الانتماء والولاء ، وبين المواطنة والوطنية، وبين المواطنة والهوية، مما يطرح الاختلاف والتنوع في الرؤية في دلالاتها وآثارها، انطلاقا من الخلفيات الثقافية والسياسية والفلسفية والدينية والأيديولوجية ... باعتبار أن " كَثِيرًا مِنْ نِزَاعِ النَّاسِ سَبَبُهُ أَلْفَاظٌ مُجْمَلَةٌ مُبْتَدَعَةٌ وَمَعَانٍ مُشْتَبِهَةٌ " (ابن تيمية في مجموع فتاويه) ويرى بعض المهتمين إن التنوع الثقافي واقع إنساني عالمي، من مظاهره (تنوّع القيم)، أي (تنوع المعايير)، و(تنوع المفاهيم)، و(تنوع المعتقدات). ولذلك كان فرض قيم ثقافية وحضارية واحدة على الشعوب كافة باعتبارها (قيم كونية)، انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي، وللعدالة الإنسانية. وتأسيساً على ذلك، فإن مصطلح (قيم كونية) ليس مصطلحاً بريئاً، لأنه ينطوي على تزييف لحقائق الحياة، وتضليل للوعي الإنساني.(عبد القادر الإدريسي جريدة العلم يوم 01 - 08 - 2009) مما يعطي مشروعية تحديد المفاهيم المرتبطة بالوطن: المواطن- الوطنية- المواطنة- الانتماء -والولاء...

وباعتبار دور المدرسة كمؤسسة عمومية موكلة للإسهام في تنشئة الأجيال على حب الوطن وترسيخ قيم المواطنة ، فإن الوزارة الوصية على قطاع التربية والتعليم والتكوين ما فتئت تراهن على إرساء مدرسة المواطنة من أجل التربية على المواطنة كمدخل لتعزيز منظومة القيم بالمؤسسات التعليمية لذلك اتخذت من عبارة : "من أجل

مدرسة متجددة ومنصفة ومواطنة ودامجة" شعارا للموسم الدراسي 2020 - 2021

ونظرا لما يعرفه مفهوم المواطنة من جدل في مداه وأبعاده التربوية والهوياتية نتيجة ارتباطه بخلفيات فلسفية ثقافية اجتماعية سياسية وقيمية، فالتعرض له في هذه الورقة لا يروم مناقشة موضوع المواطنة في كل تلك الأبعاد والخلفيات، بقدر ما يركز على بعده التربوي، من خلال رصد موقعه من منظومة التربية والتكوين في بلدنا، كما أن هذا التركيز سوف لا يتناول الموضوع في المناهج التعليمية والبرامج والكتب المدرسية والتي تعرف بدورها تنوعا في التناول والتنزيل بل من خلال الوثائق الرسمية المؤطرة لتلك المناهج والبرامج والكتب وما تفرع عنها من مذكرات توجيهية والتي تحاول الإجابة عن سؤال أي مواطن وأية مواطنة يتغياه نظامنا التعليمي ؟

وعليه سيكون التركيز في هذه الورقة على البعد التربوي في منظومتنا التعليمية من خلال مدى حضورها في الوثائق الرسمية المؤطرة للمناهج والبرامج والكتب المدرسية ببلادنا والتي جاءت منسجمة والمبادئ التي سطرها دستور 2011 الذي ينص في كثير من فصوله على مقتضيات تهم ترسيخ ثوابت الأمة ومنظومتها القيمية؛ محددا مجموعة مبادئ تخص المواطنة، وما تستلزمه من قيم الانتماء والولاء للوطن وهويته، كمدخل أساس للمواطنة؛ حيث أفرد عناية خاصة لمنظومة القيم المشتركة التي على مختلف مكونات الأمة التشبع بها والتحلي بفضائلها، سواء في ديباجته أو في العديد من فصوله، وفي مقدمتها:

- ارتكاز الحياة الاجتماعية على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والحرية والكرامة والمساواة بين الجنسين، والمواطنة المسؤولة؛
- إعطاء الدين الإسلامي مكانة الصدارة في الهوية المغربية؛
- التشبث بالوحدة الوطنية والترابية، وتلاحم مقومات هويتها المتعددة المكونات والمتنوعة الروافد؛
- التشبث بقيم الانفتاح والاعتدال والوسطية والتسامح والإبداع والحوار والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية دستور المملكة .

في مفهوم الوطن

نجد في لسان العرب لابن منظور أن الوطن هو "المنزل الذي تقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحله يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه" (↑ ابن منظور، معجم لسان العرب، بيروت: دار صادر، صفحة 32. بتصرّف).وبديهي أنه ليس هناك وطن بلا مواطن، حيث يؤكد علماء اللغة والمفكرون على أن الفعل)وَطَنَ) يعني أقام بالمكان وأوطن به، أي اتخذه وطناً ومحلاً يسكن فيه، وفي الواقع نجد مفهوم الوطن يتخذ دلالة تتباين حسب طبيعة تفكير الإنسان وثقافته ومعاناته في الحياة المرتبطة بوطن معين:

هل هو "المكان الذي ولد فيه"
أم هو "أرض الآباء والأجداد"،
أم" المكان الذي ترعرع فيه وله به ذكريات" ...
أم هو "المكان الذي تحفظ فيه كرامته ويكون فيه معاشه" ...
أم هو "المنزل الذي يقيم به " ...
أم هو المكان الذي يشعر فيه الفرد بالأمان " ...
فما مفهوم الوطن ؟

كثير من التعاريف تشير الى ضرورة توفر أمرين أساسيين لصيرورة ونشأة الوطن في ذهن المواطن وهما: "المكان" الموقع الجغرافي وما يحمله من خصوصية ثقافية ويتضمنه من معالم حضارية، و"الأمان" الذي يقوم على سيادة القانون والتشريعات التي تصون حقوق وكرامة الفرد في المجتمع، ويحدد الواجبات في إطار مؤسسات الدولة الديمقراطية المعاصرة التي تؤمن بحرية الفكر والعقيدة والعيش، وكذلك مدى التزام المواطن بهذه التشريعات واحترمه لها. وبذلك يكون الوطن هو بقعة الأرض التي يحيا عليها الإنسان تربطه بأهلها قوانين ومفاهيم وأنظمة وقواعد سلوك، تضمن استقرار الوطن وتحدّد درجة انتماء أبنائه، وصدق تعبيرهم عن ذلك.

ومعلوم في السياسة الدولية والقوانين الدستورية أن هناك ثلاثة عناصر أساس في مفهوم الوطن:

- العنصر البشري: وهو المواطن- الشعب الذي يستقر فيها، ويرتبط بها برابطة سياسيّة وقانونيّة.
- العنصر الطبيعي: الوطن المحددة المعالم، الذي يقيم به المواطن- الشعب، وهو شرط لاكتساب الدولة لشخصيتها القانونية.
- العنصر التنظيمي: السيادة وتتولاه السلطة الحاكمة المسؤولة عن تنظيم مجتمع الدولة وتؤكد وحدة الشعب وتحقق مصالحه وتتولى الدفاع عن كيان الوطن.

في مفهوم المواطن

إن تسمية المواطن مشتقة من كلمة وطن، فلا وطن بدون مواطن والعكس، فالمواطن ذلك الإنسان المرتبط بوطن ما بعاطفة وجدانية، ومشاعر طبيعية، وأحاسيس غرائزية، تقوم في أساسها على الحب، والتفاعل والتعاون مع الآخرين أخذاً وعطاءً وتضحية وعملاً. مما يجعله أياً كان جنسه أو منصبه أو اتجاهه السياسي والديني والعرقي، يتحمل مسؤوليات قانونية وأخلاقية تاريخية، في المحافظة على كيان وطنه واستقلاليته، والالتزام بقوانينه، والدفاع عنه وعن حقوقه ومصالحه، والمحافظة على مصالح شعبه. وهذا لا يتأتى إلا بعاطفة حب المواطن لوطنه باعتباره شيئا فطريا، ويشكل معنى للوطنية، وهو حب يعادل حب النفس الذي اقترن في القرآن الكريم بحب الأرض ؛ قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ) [النساء: 66].وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة مثلا في حب الوطن عندما خرج من مكانه وبلده الذي ولد فيه "مكة " ، فكان يخاطبها وعيناه تسكبان الدموع " والله يا مكة لأنت أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلى قلبي ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت" . وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه مما يدلل على مشروعية الشوق للوطن والحنين إليه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قدم من سفر فرأى درُجات المدينة - وطنه الذي ناصره وأيّده- أوضع ناقته، أي أسرع بها. وفيه دلالة على مشروعية حب الوطن، والحنين إليه (ابن حجر _رحمه الله_ في" فتح الباري) وفيه استعمال للوطن، بمعنى مكان العيش والإقامة وليس النشأة والولادة فقط؛

في مفهوم الوطنية

الوطنية في الموسوعة العربية العالمية هي (تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ ، والتفاني في خدمة الوطن)، (- الوطنية والمواطنة"، www.alukah.net، 31-12-2019.(بتصرّف).

-يشير مفهوم الوطنية إلى فضيلة الولاء، نتيجة للعضوية في وطن، والشعور بالهوية الشخصية والجماعية ، والقيام بحقوقه المشروعة، فهي تعبير عن حب الفرد وإخلاصه لوطنه أرضا وعادات وتقاليد ومعتقدات فهي قبل أن تكون انتماء الفرد لمكان معين، فكر إنساني جوهره حب الخير والتضامن . ويمكن اعتبار معيار الوطنية في الإحساس بالانتماء للأرض والمجتمع، والدفاع عن أمنه، حيث تتبلور الوطنية في مجموعة من القيم تجعل من المواطن وطنيا : الحب ،الإخلاص، الاحترام ، التضامن، التضحية، الدفاع ، الوفاء....

وعليه فإن مفهوم الوطنية يرتبط بحب الوطن والحرية المشتركة والعمل من أجل المصلحة العامة، وهذا ما شهده المغرب خلال الأزمات التي عرفها، خاصة أزمة الاحتلال الفرنسي والإسباني؛ حيث تعمق مفهوم الوطنية في قلوب رجال الحركة الوطنية ، كما عايشنا عمق الوطنية لدى كل فئات الشعب المغربي خلال ملحمة المسيرة الخضراء.

في مفهوم المواطنة

هي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته، وتتمثل في عدة مقومات منها :

- المساواة بين المواطنين في ظل دولة وطنية واحدة على أساس الانتماء - امتلاك المواطن حقوقاً اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية
- التزام المواطن بواجبات تجاه الدولة والمجتمع.
- استحقاق المواطن المشاركة بصورة ما في خدمة وطنه
- الولاء للوطن ولكل رمزياته نشيداً وعلماً ولغة وأعرافاً الى درجة التضحية في سبيله.
- التعاون والتضامن مع المواطنين عن طريق العمل المؤسسي والفردي الرسمي والتطوعي ....

هذه المقومات تبرز العلاقة بين مفهومي المواطن والمواطنة، حيث لا يمكن أن تتحقق المواطنة، من دون مواطن يشعر شعوراً حقيقياً بحقوقه وواجباته في وطنه. فلا مواطنة من دون مواطن، ولا مواطن إلا بمشاركة حقيقية في شؤون الوطن على مختلف مستوياته.

لكن ما تحمله العولمة من غزو فكري ثقافي قيمي تلقي بظلالها على المفاهيم والقيم المرتبطة بالوطن والتشويش على المواطنة، في بعدهما المحلي والكوني. ولعل من تأثيرات فكر العولمة وضغوطاتها وسعيها من أجل عولمة القيم والثقافات وإلغاء الهويات الخصوصية أن أدت إلى ظهور ما يصطلح عليه بالمواطنة العالمية، باعتبارها مفهوما يهدف دعم المواطنين العالميين الفاعلين، لإنشاء، وإعادة إنشاء عالم مختلف، وأكثر إنصافا وعدالة وسلما واستدامة، عالم مبني على التضامن، من خلال تربية تسمح للأفراد بتطوير معارفهم ومهاراتهم، بتبني القيم والمواقف الضرورية التي من شأنها أن تفتح أعين الناس وعقولهم على حقائق العولمة، وتدفعهم للسعي لتحقيق عالم ينعم فيه الجميع بمزيد من العدالة والمساواة وحقوق الإنسان. - (إعلان ماستريخت للتربية من أجل مواطنة عالمية، 17 - 15 نوفمبر - تشرين الثاني 2002)

ويمكن تلمس الفرق بين الوطنية والمواطنة من خلال الآتي:

الوطنية	المواطنة
- صدق في الولاء وإخلاص في الانتماء - حب ووفاء وحرارة وانفعال وجداني - ارتباط عاطفي بالأرض والمجتمع - حس قلبي ضميري داخلي - ثابتة لاتقبل التعدد ولا التبدل - الوطنية هي محصلة للمواطنة - الوطنية تكتسب بالتربية حيث تتحمل الأنظمة الاجتماعية والثقافية والسياسية مسؤولية تنشئته تنشئة وطنية - فالوطنية ذات صلة بالتاريخ والهوية - صفة الوطنية أكثر عمقا من المواطنة - الوطنية فتكتسب بالعمل والفعل الصالح من أجل مصلحة الجماعة والدولة	- المواطنة قبول (برضا أو تبرم) - سلوك وتصرفات فعلية ظاهرة - ارتباط عملي - تكيف ومرونة (وسيلة لهدف) - المواطنة يمكن أن تتم دون وطنية - المواطنة فهي التناغم والإيقاع الحياتي اليومي - فالمواطنة تكتسب بمجرد الانتساب إلى جماعة أو لدولة معينة

في مفهوم الانتماء

قال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: 10].

الانتماء عبارة عن الإحساس تجاه أمر معين، يبعث على الولاء له : (الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، عبد الله النجار، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط الأولى) ،وحالة شعور الإنسان إلى الانضمام إلى مجموعة تربطه بها علاقة حياتية فلسفية وإيديولوجية. فيجد الفرد ضمن هذه المجموعة أو هذا التنظيم صورة تعبر عن فلسفته. ويمكن تعريفه اصطلاحا هو: "الانتساب الحقيقي للمكان وتمجيد أهله والاعتزاز بهم، بلغتهم وتراثهم وعقيدتهم وعاداتهم وتراثهم وتقاليدهم"، فهو حاجة من الحاجات الهامة التي تشعر الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين أفراد مجتمعه، وتقوية شعوره بالانتماء للوطن، وتوجيهه توجيهاً يجعله يفتخر بالانتماء، ويتفانى في حب وطنه ويضحي من أجله"(قراءة في مفهوم الانتماء الوطني، عبد الله بن ناجي آل مبارك، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية 4(. وعند الحديث عن الانتماء للوطن نقصد به "الاستعداد للتضّحية من أجله من أصغر الأمور فيه إلى أكبرها، ويمكن التعبير عنه هو بكل عمل خيري يعود بالنّفع على المُجتمع.[٢] وصفي عقيل، محمد يعقوب، صباح السقار وآخرون (2018)، المواطنة والانتماء، اربد-الأردن: جامعة اليرموك، صفحة 16. بتصرفّ وبكل الوسائل والسلوكات فالمُحافظة على نظافة الشّارع وإماطة الأذى عن الطرّقات انتماء، والحرص على نظافة مقاعد الدّراسة وعدم العبث بها أيضًا انتماء، ومُحاربة جميع الآفات التي تغزو المجتمع انتماء،

فالانتماء للوطن يتبلور في الشعور بالافتخار به، ويترجم إلى سلوك إيجابي، مثل الالتزام بقوانين الوطن وأنظمته، والحفاظ على مكتسباته، والسعي نحو رفع شأنه، والتضحية من أجل مجتمع له منتوجه الحضاري والفكري واصوله وعاداته وتقاليده وقوانينه، لأن الشعور بالانتماء لوطن ينفرد بثقافة وتاريخ مشترك يمنح صاحبه القدرة على التأثر بالوقائع التي تحدث ضمنه، .

وتتجلى أهمية الانتماء للوطن في الخوف على مصلحته وإعلائها فوق كل مصلحة، وما يترتب على ذلك من احترام للقوانين والتزام بالدستور والآداب العامة، وحفاظ على ممتلكاته، وتقبل للاختلافات العقائدية والسياسية والعرقية. ولعل من القيم المهمة للانتماء للوطن إبراز قيمة الوحدة الوطنية، وتحويلها لهدف يعمل الجميع على تحقيقها على أرض الواقع والمحافظة على استمراريتها (سلمان بارودو - "جدلية العلاقة بين الوطن والمواطن"، الحوار 2007-6-10 بتصرّف.

ويُعدّ من أهم ملامح قوة أي دولة ثبات الانتماء لها في قلوب أبنائها. ولذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى أهمية الانتماء إلى الوطن بمظاهره الصحيحة التي تأخذ مداها في الشعور الفردي ولا تتجاوزه إلى المحذور، فتكون بعيدة عن الغلو والتفريط.

الولاء للوطن

الولاء في قواميس اللغة، يعني: القرب، والمحبة، والصداقة، والنصرة.. واصطلاحا تلك الرابطة العاطفية التي تربط الفرد بفئة أو جهة أو مؤسسة أو فكرة أو مذهب أو معتقد.. فهو يعني ترجمة الشعور بالانتماء على أرضية

العمل والسلوك الفردي والجماعي للمواطنين، كما يعني الإخلاص في العمل للوطن والتفاني من أجله، مع الاستعداد للتضحية في سبيل ذلك.

والولاء للوطن بهذا المفهوم، هو الارتباط العقلي والوجداني إلى أبعد الحدود، باعتباره الركيزة التي يقوم عليها الارتباط القانوني والدستوري. فهو تأكيد للانتماء، وتعميق للارتباط بكل ما يرمز إليه الوطن من قيم ومثل ومبادئ وخصوصيات ونظم وقوانين وأمجاد تاريخية، وهو أيضاً الإخلاص في خدمة الوطن غاية الإخلاص، لأن الوطن فوق كل الاعتبارات والمعايير والحسابات

فرغم أن الانتماء للوطن يعد أقوى ارتباطا بالأرض والوطن والهوية، إلا أنه لا يشكل بالضرورة دليلا على الولاء له. فاقتناء بطاقة الهوية لا يعني أن حاملها قد تولدت عنده ثقافة الترابط. لذلك فمعيار الالتزام بالولاء للوطن يكون في السلوك الذي يترجم مشاعر الاعتزاز بالانتماء، ويصل إلى حد القبول بمقومات التضحية في سبيل حماية استقرار الوطن، وصون كرامته، والذود عن سيادته وسلامته من كل الآفات والأضرار والمخاطر التي يمكن أن تمس به مادياً ومعنوياً.

وقد يعتبرالولاء للوطن من أهم شروط المواطنة وقيم الوطنية حيث يصبح قيمة مطلقة ثابتة لا تتغير ولا تقبل الازدواجية، لأنه من حيث هو لا يتجزأ. ومن كان له ولاء مزدوج فهو كمن لا ولاء له، أي فاقد لأهم شروط المواطنة وقيم الوطنية (عبد القادر الإدريسي نشر في العلم يوم 01 - 08 - 2009)

ولا شك أن للدين أثره البالغ في عمق الولاء للأرض عمارة، وللقوم إحسانا، وللقانون التزاما، وللسلطة طاعة في المعروف ، يكسبه قيمته الثابتة المطلقة ، ذلك أن " الولاء بلا دين يسهل معه تحويل هذا الولاء المبالغ فيه إلى سلعة يقتضى بها الغرض، لكن الولاء الديني يبقى ضابطاً للإنسان، حافظاً له من المزايدة والتسليع، وبيع مصالح بلده وقومه لمصلحة خاصة.

ومن خصائص الولاء :

- الولاء للوطن يحكمه الضمير من خلال صدق التعامل مع الوطن فهو في أصله عاطفة وشعور يتمثل في الإخلاص، تترتب عليه آثار عملية، يتحول معها إلى واقع وسلوك،
- هو جماع الوطنية والمواطنة معاً،
- هو جوهر الانتماء الذي يكسب المرء الشخصية والهوية الوطنيتين،
- هو إخلاص طوعي اختياري رضائي، ولا يمكن أجبار أحد عليه،
- هو إخلاص غير مشروط. بمعنى أن الولاء قيمة يتبناها الشخص لذاتها، وليس من أجل منفعة شخصية.
- الولاء يتجه إلى موضوع معين، فقد يكون ولاءً لدين أو وطن أو جماعة أو فئة أو شخص أو مؤسسة أو مهنة أو فكرة ما. (صحيفة »الرأي« الأردنية، 2014-10-2).
- الولاء قيمة ثابتة لا تتغير وفقاً للمتغيرات الدولية، ولا تتلون بألوان الطيف السياسي والإيديولوجي والثقافي.) عبد القادر الادريسي)
- الولاء للوطن فرض شرعيّ وأمرٌ فطريّ وواجب حياتيّ،

ويمكن بيان الفرق بين الانتماء والولاء للوطن كالآتي :

الانتماء للوطن	الولاء للوطن
-الانتماء إحساس تجاه الوطن، يبعث على الولاء له -شعورالفرد إلى الانضمام إلى وطن تربطه به علاقة حياتية فلسفية وإيديولوجية -انتساب للوطن وتمجيده والإعتزاز بلغته وتراثه وعقيدته وعاداته وتراثه وتقاليده - حاجة من الحاجات الهامة التي تشعر الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين أفراد مجتمعه -يتبلور في الشعور بالافتخار بالوطن، ويترجمه إلى سلوك إيجابي، من خلال الالتزام بقوانين الوطن وأنظمته، والحفاظ على مكتسباته -من قيم الانتماء للوطن إبراز قيمة الوحدة الوطنيّة، وتحويلها لهدف يعمل الجميع على تحقيقها -الانتماء إلى الوطن يكون بمظاهره الصحيحة بعيدة عن الغلو والتفريط، والذي قد يؤدي إلى الغلو	-الانتماء إلى الوطن لا يشكل بالضرورة دليلا على الولاء له - معيار الالتزام بالولاء للوطن يكون في السلوك الذي يترجم مشاعر الاعتزاز بالانتماء على أرضية العمل والسلوك - الولاء رابطة عاطفية بين المواطن والوطن - يعني الإخلاص في العمل للوطن والتفاني من أجله، -هو الارتباط العقلي والوجداني إلى أبعد الحدود -هوتأكيد الانتماء وتعميق الارتباط بكل ما يرمز إليه الوطن من قيم ومثل ومبادئ وخصوصيات ونظم وقوانين - إخلاص طوعي اختياري رضائي، ولا يمكن إجبار أحد عليه، الولاء للوطن قيمة مطلقة ثابتة لا تتغير لا تقبل

والتطرف	الازدواجية أو التجزئة - الولاء من شروط المواطنة وقيم الوطنية

إرساء مدرسة المواطنة من أجل تربية مواطنة

كانت الغاية من تربية المواطن على قيم المواطنة تصريحا أو تلميحا ملازمة لكل الإصلاحات التي عرفها النظام التربوي المغربي من خلال سؤال : من هو المواطن المغربي ؟ وكيف يمكن تنشئته وتكوينه ؟ والجواب عن السؤال تختلف حوله الافكار والاتجاهات والتوجهات الفكرية والثقافية والسياسية ...وكانت المدرسة وما تنتجه عبر العملية التعليمية التعلمية بؤرة النقاش في كل مشاريع الإصلاح باعتبار ما تتميز به من تأثير وقدرة على غرس الانتماء والولاء والمواطنة وتشكيل شخصية المواطن المعني بالمواطنة .

ومع بداية الألفية الثالثة ومواكبة للمستجدات التربوية وما تركز عليه من مفاهيم ومعارف وقيم... جعلت منظومتنا التعليمية تعمل على التفكير والتخطيط لمشاريع تستجيب لتلك المتغيرات ، أهمها :

الميثاق الوطني للتربية والتكوين:

باعتباره وثيقة وطنية متوافق عليها، ينص على أن » نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن، و يحدد ملامح شخصية هذا المواطن المرغوب في تكوينه، من خلال اعتماده مجموعة من القيم، والتي اعتبرها مرتكزات ثابتة، تصب كلها في تكوين المتعلم المغربي على روح الوطنية المرتبطة بالهوية الثقافية والدينية للبلد، والتي تعتبر معيارا للمواطنة الصادقة، والمتمثلة في:

- قيم العقيدة الإسلامية.
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية.
- قيم المواطنة.
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية .

هذه القيم المرتكزات الثابتة تتغيى في شموليتها وتكاملها تربية المتعلم المغربي على المواطنة الوفية لقيم الانتماء والولاء للوطن في ثقافة مجتمعه وهويته كما حددته اللجنة الوطنية الخاصة بالتربية والتكوين، من خلال:

- التحلي بالاستقامة والصلاح والاعتدال والتسامح؛
- الشغف بطلب العلم والمعرفة والتوقد للاطلاع والإبداع؛
- التطبع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج الفعال؛
- التمسك بثوابت وبمقدسات البلاد (الإيمان بالله، حب الوطن، التمسك بالملكية الدستورية)؛
- التشبع بالرغبة في المشاركة الإيجابية في الشأن العام والخاص؛
- الوعي بالواجبات والحقوق، وتبني الممارسة الديمقراطية؛
- الانفتاح على الآخر والتشبع بروح الحوار وقبول الاختلاف؛
- التشبث بالتراث الحضاري والثقافي للبلاد بتنوع روافده وحمولته القيمية؛
- التوفيق الإيجابي بين الوفاء للأصالة والتطلع الدائم للمعاصرة، في تفاعل مع مقومات الهوية الوطنية وفي انفتاح على الحضارة الإنسانية العصرية؛
- المساهمة في رقي البلاد وتقدمها العلمي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والانفتاح على العالم

)اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير 2000.الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير 2000، ص9-10.)

الكتاب الأبيض

جاء الكتاب الابيض للتأكيد على القيم التي أعلنها الميثاق الوطني للتربية والتكوين مرتكزات ثابتة وتم تصنيفها إلى أربعة أقسام كبرى وهي:

- قيم العقيدة الإسلامية؛
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛
- قيم المواطنة؛
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية؛

)الكتاب الأبيض، ج1، الاختيارات والتوجهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية، يونيو 2002

) الكتاب الأبيض الجزء 3، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية ، يونيو 2002)

الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية

جاءت الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية الخاصة بالتربية على المواطنة لترسم الغايات الكبرى للتربية على المواطنة وتحدد الكفايات المرجعية المرتبطة بها والتي عملت المناهج التربوية على أجرأتها وترجمتها إلى كفايات معرفية ومنهجية، وإلى اتجاهات ومواقف ينتظر أن يكتسبها المتعلم المستهدف من المدرسة المغربية لإعداده للمساهمة في تحقيق نهضة وطنية اقتصادية و علمية و تقنية تستجيب لحاجات المجتمع المغربي و تطلعاته باعتبار المدرسة مجالا حقيقيا لترسيخ القيم الأخلاقية و قيم المواطنة و حقوق الإنسان و ممارسة الحياة الديموقراطية من خلال:

- ترسيخ الهوية الحضارية المغربية والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها؛
- التفتح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة؛
- تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته؛
- تنمية الوعي بالواجبات والحقوق؛
- التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية؛
- التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف؛
- ترسيخ قيم الحداثة والمعاصرة؛ تنمية القدرة على المشاركة في الشأن المحلي والوطني؛
- تنمية الثقة بالنفس والتفتح على الغير؛
- الاستقلالية في التفكير والممارسة؛
- التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي؛
- التحلي بروح المسؤولية والانضباط؛
- إعمال العقل واعتماد الفكر النقدي؛
- تثمين العمل والاجتهاد والمثابرة والإنتاجية والمردودية؛
- المبادرة والابتكار والإبداع؛ التنافسية الإيجابية؛
- الوعي بالزمن والوقت كقيمة أساسية في المدرسة وفي الحياة؛
- احترام البيئة الطبيعية والتعامل الإيجابي مع الموروث الثقافي الوطني.

)الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية، يونيو 2000 ، ص13-12

- البرنامج الاستعجالي:

جاء مشروع البرنامج الاستعجالي 2012-2009 من أجل إعطاء نفس جديد لإصلاح منظومة التربية والتكوين بعد أن دعا جلالة الملك، في خطابه الافتتاحي للدورة التشريعية لخريف سنة 2007، إلى وضع برنامج استعجالي من أجل تسريع وتيرة إنجاز الإصلاح خلال السنوات الأربعة المقبلة. وهكذا تم الالتزام بتقديم خارطة طريق دقيقة تحدد بصفة ملموسة ومفصلة برنامج استكمال إصلاح منظومة التربية والتكوين. فوضعت وزارة التربية الوطنية برنامجا استعجاليا طموحا ومحددا، يروم إعطاء الإصلاح "نفسا جديدا"، معتمدا في مرجعيته على توجيهات الميثاق الوطني للتربية والتكوين. (وزارة التربية الوطنية التقرير التركيبي يونيو 2008)

فأعلن بوضوح عن ترسيخ قيم المواطنة لدى المدرسين والتلاميذ، ودعا إلى القيام بمبادرات واعدة، على الصعيدين المحلي والجهوي، من أجل التأسيس لثقافة الاحترام داخل المدارس، من خلال :

- اعتماد التربية على القيم وتطوير الكفايات مدخلا بيداغوجيا لمراجعة مناهج وبرامج التربية والتكوين.
- وضع دفاتر التحملات الخاصة بتأليف الكتب المدرسية، تتحدد بموجبها المعايير الواجب توفرها في الكتب المصادق عليها، بما فيها التنصيص صراحة على مفاهيم ومبادئ وقيم حقوق الإنسان والمواطنة والديمقراطية.
- إحداث مادة جديدة " التربية على المواطنة" في السلكين الابتدائي والثانوي الإعدادي.
- إدماج مبادئ القانون الدولي الإنساني في مناهج وبرامج بعض المواد الدراسية كالاجتماعيات واللغة الفرنسية
- تأسيس نوادي التربية على حقوق الإنسان، ونوادي التربية على المواطنة، ونوادي التربية على المساواة .

بين الجنسين، ونوادي التربية على البيئة، ونوادي التربية الصحية.
- استحداث اللجنة المركزية لحقوق الإنسان والمواطن..
) مشروع البرنامج الاستعجالي 2012-2009 ، يونيو 2008، المشروع العاشر: تأسيس "مدرسة الاحترام"، ص37.)
وكانت الغاية من مشاريع البرنامج الاستعجالي الذي جاء لإعطاء نفس جديد للميثاق الوطني للتربية والتكوين تحديد التزامات المدرسة المواطنة المتمثلة في حب الوطن، وممارسة الحقوق، والقيام بالواجبات، والمشاركة في الحياة المدرسية، واحترام الآخر وثقافته، واحترام الالتزامات، والتشبع بروح التضامن، والمساهمة في التنمية، والمحافظة على البيئة (دليل المدرسة المواطنة، ، ص 60.)

المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي

يؤكد المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي في تقرير له في يناير 2017على مركزية القيم في المنظومة التربوية، بما فيها قيم المواطنة وأهميتها في تعزيز الانتماء والولاء للهوية الوطنية؛ انطلاقا من مرجعية المجتمع التي يعتبرها مصدرا لها؛ حيث يرى أنها تنهل من مختلف مرجعيات المجتمع الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية والحقوقية، ومن روافده المحلية والوطنية والإقليمية والعالمية، وتشكل بذلك الحافز الضامن للتعبئة المستدامة من أجل تعزيز الهوية والانتماء، والتعريف بها وصيانتها والدفاع عنها، مع ضمان التفاعل مع الحضارات والثقافات الأخرى، كما يرى المجلس أن الاضطلاع بالتربية على القيم يسائل بالدرجة الأولى المنظومات التربوية، ويجعل مسؤوليتها مركزية، ودورها حاسماً ودائم الراهنية.
) المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي - التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلـمي تقرير رقم: 1/17 - يناير 2017)
وقد سبق للمجلس نفسه أن أصدر رأيه حول " دور المدرسة في تنمية السلوك المدني « انطلاقا من التوجيهات الواردة في الرسالة الملكية بتاريخ 2007 ، التي ربطت الغاية المثلى من تنمية السلوك المدني ب » تكوين المواطن المتشبث بالثوابت الدينية والوطنية لبلاده، في احترام تام لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، المتمسك بهويته بشتى روافدها، المعتز بانتمائه لأمته،
لرباط
) رسالة جلالة الملك إلى المشاركين في الندوة الوطنية التي نظمها المجلس الأعلى للتعليم في موضوع "المدرسة والسلوك المدني" بالرباط .23 ماي 2007، والتي تلاها مستشار صاحب الجلالة السيد عبد العزيز مزيان بلفقيه)
)المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي- رأي المجلس الأعلى حول " دور المدرسة في تنمية السلوك المدني « يونيو 2007)

الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 - 2030

بادر المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي لبلورة رؤية استراتيجية جديدة للإصلاح التربوي، وسميت ب (الرؤية الاستراتيجية للإصلاح)، يكمن جوهرها في إرساء مدرسة جديدة قوامها الإنصاف وتكافؤ الفرص، والجودة للجميع والارتقاء بالفرد والمجتمع. وجعلت من ضمن غايات المنظومة التربوية ضرورة اعتماد التربية على القيم الديمقراطية والمواطنة الفاعلة وفضائل السلوك المدني، والنهوض بالمساواة، ومحاربة كل أشكال التمييز، خياراً استراتيجياً لا محيد عنه .
)المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي- رؤية استراتيجية للإصلاح 2015 - 2030)

الممكن من أجل تربية مواطنة

التربية المواطنة لها ثلاثة مكونات رئيسة:
- معرفة المفاهيم المرتبطة بالوطن والمواطن وما تستلزم من حقوق وواجبات.
- مهارات المشاركة في الحياة الوطنية.
- القيم والأخلاق المشتركة المرتبطة بالسلوك، والشعور بالانتماء والولاء للوطن.
فلا بد من الإدراك والفهم الصحيح لطبيعة العلاقة بين الوطن والمواطن. وأنّ تحقيق الهدف الرئيس من

التربية على المواطنة يكمن في معرفة العلاقة التفاعلية التكاملية التي تربط الوطن بالمواطن. تربية تقوم على أساس التشبع بروح القوانين واحترامها، والحرص على تطبيقها في الحياة اليومية؛ وبلورة قيم المواطنة، ومبادئ حقوق الإنسان وحقوق الطفل، في مواقف وسلوكات داخل المحيط المدرسي وخارجه؛ واتخاذ مواقف وتصرفات وسلوكات تتماشى وقيم المواطنة (منهاج مادة التربية على المواطنةhttp://www.histgeo) وذلك من خلال عدة إجراءات تربوية بيداغوجية وديداكتيكية منها :

- الاعتزاز بالمواطنة مكان التفاخر بالقبلية والحزبية والاهتمام بنشر التربية على قيمة الانتماء والولاء للوطن،
- التوعية بهوية الوطن وأهميته وموقعه وتاريخه وحضارته
- تنمية روح ومشاعر الانتماء من خلال الجانب العملي في جميع المواد التعليمية.
-اعتماد طرائق التدريس الحديثة، والتعليم التعاوني، والانشطة الجماعية القائمة على المشاركة في تكوين المعرفة.
- إعداد جيل معتز بوطنه وبمجتمعه ومؤسساته الاجتماعية ومستعدّ للتضحية في سبيل الدفاع عنه.
- استشعار قيمة الوطن بين دول العالم، وتقدير مسؤولياته العالمية، والوعي بدوره التاريخي قديمًا وحديثًا، والارتباط بقادته، والانحياز إليهم في مواجهة الفتن،
- تعزيز روح الانتماء وتأكيد الهوية الوطنية في مواجهة نزعات الانتماء الفرعي الضيق الذي يؤدي إلى التعصب والانغلاق، وإلى إضعاف روح الانتماء الوطني.
-تحديد أوجه السلبيات والإيجابيات في المقررات الدراسية التي تعززّ الانتماء الوطني. ومراجعة متون الكتب المدرسية لإعطاء الأولوية لما يخدم قيم الانتماء والولاء للوطن وتقدير الحقوق والواجبات تجاهه، ووجوب حفظ حقوق الوطن ورعايته، وعدم خيانته؛ ، مما يرسخ لدى المتعلمين الهوية الوطنية، ويؤكد ارتباطهم بوطنهم أرضا، وتاريخا وثقافة وعقيدة ...
- التعاون بين كل مؤسسات المجتمع مع المؤسسة التعليمية بهدف إحياء روح الانتماء.
- بناء الإنسان واحترام كرامته ومكانته الإنسانية وتحقيق حقوقه في حياة كريمة ولقمة عيش شريفة؛ بما يعمل على الاستثمار الحقيقي في الوطن؛ إذ أن بناء الإنسان مقدمّ على بناء العمران.
- وحدة الصف المجتمعي بتجميع أبناء الوطن على القواسم المشتركة المتفق عليها،
- تعزيز حب الوطن من خلال بث روح العمل وإتقانه، وبث الأمل في نفوس أبناء الوطن، وزرع اليقين في القلوب، وتقدير الأدمغة مما يسُاعِد على تنمية المجتمع، وترميز أهل الكفاءات والطاقات المبدعة وتكريمهم .
- حماية الوطن من كل أنواع الفساد وشيوع الفاحشة وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصّة في كل المستويات ....

لا شك أن الغاية من التربية على المواطنة تهدف إعداد المتعلم - المواطن المغربي للإسهام في تحقيق نهضة وطنية اقتصادية وعلمية وتقنية تستجيب لحاجات المجتمع المغربي وتطلعاته، حتى يحق كفاياته، واكتفائه الذاتي، ويستقل بقراراته.

على أن بلوغ هذه الأهداف يتعين أن تسهم فيه كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وفي طليعتها الأسرة والمدرسة والإعلام... لأنّ تحقيق الانتماء والولاء للأوطان عملية مجتمعية متكاملة، يجب أن يشارك فيها جميع أبناء الوطن، فضلا عن تقديم صورة عملية للوطنية، تقوم على الانتماء والولاء إذ لا هوية وطنية بالمدلول الحضاري والمفهوم الثقافي والتاريخي والحضاري لمن لا ولاء له لوطنه الذي ينتمي إليه. وحتى إذا ثبتت الهوية القانونية، فإنها لا تكون ذات مدلول وقيمة حقيقية، في غياب الهوية الثقافية والحضارية والتاريخية. والولاء للوطن وما يستلزمه من الإخلاص في القول والعمل، في خدمة المصالح العليا للوطن التي هي في جميع الأحوال سلامته، وصون سيادته، وحماية استقلاله، والحفاظ على كرامته.

)الولاء المطلق للوطن قيمة ثابتة لا تتغير-عبد القادر الإدريسي- العلم 01- 08 - 2009

في الختام

إذا كنا نقرأ ونسمع من يتحدث عن الوطن والمواطن والمواطنة عبارة " حب الوطن من الإيمان " تتردد كثيرا في الكتابات وعلى ألسنة الناس فإن هذا الحب يمكن اعتباره جزء من الإيمان إذا استحضرنا

التوجيهات القرآنية والحديثية الحاثة على الوحدة ونبذ التفرقة والاعتصام بالجماعة . قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تفَرَّقُوا} (آل عمران:103)، وقال:{وَلا تكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(آل عمران:105)، وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: »مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى« مسلم. ولا يمكن قيام وحدة الوطن، والاعتصام بالجماعة- والتراحم والتضامن في غياب حقيقة المواطنة، وحب الوطن أولا، وهي حقيقة أقرتّها شريعةُ الإسلام، وأحاطتْها بحُقوقٍ وواجباتٍ، رِعايةً لمصالِح الدين والدنيا معًا؛ فقد اقتَرَن حُبُّ البلاد والديّار عند الإنسان بحبّ النفس، يقولُ -جلّ وعلا-: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ)[النساء: 66.]

و يُخاطِبُ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- مكة المُكرّمة، بحُزنٍ وشَوقٍ فيقولُ: "ما أطيَبَكِ مِن بلدٍ، وما أحبُّكِ إليَّ، ولولا أن قومكِ أخرَجُونِي مِنكِ ما سكَنتُ غيرَكِ"(رواه الترمذي)

وعندما أرادَ له الله -جلّ وَعلا- الهجرةَ إلى المدينة، وعاشَ في أرضِها وأقامَ، قال -صلى الله عليه وسلم- مُعبّرًا عن كَونِها بلدًا أصبَحَت مقرّ إقامتِه: "اللهم حبِّب إلينا المدينة كحُبّنا مكة أو أشد"(رواه البخاري) ولنا في الحديث الشريف عَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم قال: »الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبةً: فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأدْناها إماطةُ الأذىَ عَنِ الطّريق، والحياءُ شُعْبةٌ مِنَ الإيمان«. متّفقٌ عليه .منظومة من القيم الناظمة لعلاقة الإنسان المواطن بوطنه وبغيره من المواطنين بما يعمل على تنظيم حياة المواطن المسلم الاعتقادية، والاجتماعية، والمالية، وغيرها مما يرسخ سلوك المواطنة، انطلاقا من التوحيد والإخلاص، ومرورا بالآداب الشرعية ومكارم الأخلاق، كالبر والإحسان، والحياء، والتضامن ، والسلم، والأمن، والاحترام، وإماطة الأذى عن الطريق....

- قيل لأعرابي: أتَشْتَاقُ إلى وَطَنِكَ؟

قَالَ: كَيْفَ لاَ أَشْتَاقُ إِلى رَمْلَةٍ كُنْتُ جَنِينَ رُكَامِهَا وَرَضِيعَ غَمَامِهَا؟!!

- من شعر ابن الرومي:

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا

- محمد احساين